مع ابنِ كثير في تفسيره لنتدبر ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١)

فقد جاء في تفسير هاتين الآيتين قوله:

قال البخاريُّ: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ ﴾ أجيبوا ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أي: لِمَا يُصلحكم.

وقال مجاهدُ في قوله: ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ قال: الحق. وقال قتادةُ: ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ قال: هو هذا القرآن، فيه النجاةُ والبقاءُ والحياة. وقال السُّدِّيُّ: ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ففي الإسلام إحياؤهم بعد موتهم بالكُفر. وقال محمدُ بن إسحاق، عن محمد بن جعفر ابن الزبير، عن عُرْوَةَ بن الزبير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أي: للحرب التي أعزَّكم الله تعالى بها بعد الذُّل، وقوَّاكم بها بعد الضَّعف، ومنعكم من عدوِّكم بعد القهر منهم لكم.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ قال ابنُ عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: يَحُولُ بين المؤمن وبين الكُفر، وبين الكافر وبين الإيمان. وفي روايةٍ عن

---

(١) الأنفال: ٢٤، ٢٥.

مجاهد في قوله: ﴿ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ أي: حتى تَرَكه لا يعقل. وقال السُّدِّيُّ: يَحُولُ بين الإنسانِ وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمنَ ولا يكفر إلاَّ بإذنه.

روى الإمام أحمدُ، عن الحسنِ أن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: « دَعَوَاتٌ كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوب، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّكَ تُكْثِرُ تَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ ! فَقَالَ: إِنَّ قَلْبَ الآدَمِيِّ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّه ﷻ، فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ، وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ » (١)

﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ يُحذِّرُ تعالى عبادَه المؤمنين ﴿ فِتْنَةً ﴾ أي: اختباراً ومِحْنَةً يَعُمُّ بها المسيءَ وغيرَه، لا يَخُصّ بها أهلَ المعاصي ولا مَن باشَرَ الذَّنبَ، بل يَعُمّهما.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير هذه الآية: أمرَ الله المؤمنين ألاَّ يُقِرُّوا المنكرَ بين ظهرانيهم، فيعُمهم الله بالعذاب.

وروى الإمامُ أحمد، عن حُذَيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ » (٢)

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن رسول الله ﷺ قال: « إِذَا ظَهَرَ السُّوءُ فِي الأَرْضِ أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَهْلِ الأَرْضِ بَأْسَهُ. قَالَتْ: وَفِيهِمْ أَهْلُ طَاعَةِ اللَّه ﷻ ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ

---

(١) أحمد: باقي مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، رقم ٢٣٤٦٣.

(٢) الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم ٢٠٩٥، وقال: هذا حديث حسن.

يَصِيرُونَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى » (١)

أخي المسلم: ذاكَ ما ذكره الامامُ ابنُ كثيرٍ في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾

والمناسبةُ بين الآيتين بيِّنةٌ واضحةٌ؛ فإن فتنةً تَعُمُّ لا تُتَّقَى إلاَّ بحُسنِ الاستجابة لله ورسوله؛ فإن الاستجابة لله وللرسول استجابةٌ لكُلِّ دواعي الخير، من: الحقِّ، والعدل، والبرِّ، والرحمة، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتعاونِ على البرِّ والتقوى. لا على الإثمِ والعدوان.

الاستجابةُ لله وللرسول دافعةٌ مانعةٌ. دافعةٌ للخير، حاثَّةٌ عليه، مانعَةٌ من الشَّر، مُحذِّرةٌ منه. وعندئذٍ تتلاشى دواعي الفتنة بتلاشي أسبابها من: المعصية، والفتنة، والخيانة، والجَوْرِ، والفساد، وقيام أضدادها من: الطاعة، والأمانة، والعدل، والإصلاح.

تتلاشي أسبابُ الفتنةِ بتلاشي أسبابها، وقيامِ أضدادها، فليست الاستجابة لله وللرسول بمعزلٍ عن حياة الناس وشئونهم، صغيرِها وكبيرها، وإنما هي في المعاملة بشتَّى صورِها، و « الدِّينُ المعاملة »

فالاستجابة لمصلحتهم، وإصلاحِ شأنهم، وفَوْزِهم وفلاحِهم، والله غنيٌّ عن العالمين.

وما من شأنٍ إلاَّ وللحقِّ فيه كلمةٌ، وما من أَمْرٍ إلاَّ وللقرآنِ في بيانٌ. والله أعلم

---

(١) أحمد: باقي مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، رقم ٢٣٠٠٣.

بما يُصلِحُ عِبَادَه ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (١)

وقد جعل الله صلاحَ الناس مَنُوطاً بحُسْنِ استجابتهم لِمَا أمرهم به، أو نهاهم عنه. وهداهم إلى ذلك بالفطرة، وبما أنزل من كتاب، وأرسَلَ من رسولٍ. فلا حُجَّةَ لمن أبى الطاعةَ، وأعرض عن ذِكر ربِّه ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ (٢)

إن الاستجابةَ لله وللرسول أَمْنٌ للإنسانِ في ذاتِ نفسه وحياته، أيْ حياةٌ له في عاجِلِ أمره وآجله، ونجاةٌ من فِتَنٍ كقِطَعِ الليل المظْلِم.

والأُمَّةُ التي تُفرِّطُ في ذلك، ويُمْلَى لها، تُستَدْرَج إلى سُوءِ عاقبةٍ ومصير.

وإذا رأيتَ ربَّك يُمدُّك بالنِّعَمِ وأنت تعصيه، فاحذَرْه.

إن الاستجابةَ لله وللرسول في كُلِّ شيءٍ. في: الكلمةِ التي تُقَال، وفي العمل الذي يُعمَل، بل في النيَّةِ والقصد، حتى يصلح أمر الإنسان « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » (٣)

الاستجابةُ لله وللرسول في: إحسانِ العمل وإتقانه، في الترابطِ والتعاون على البرِّ والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

---

(١) الملك: ١٣، ١٤.

(٢) الجن: من الآية ١٧.

(٣) البخاري: كتاب بدء الوحي، رقم ١.

الاستجابة لله وللرسول في: الإيمانِ بالكلمة الطيبة التي ينجو بها الإنسانُ، ويثقُلُ بها الميزان.

الاستجابة لله وللرسول في كُلِّ أمرٍ وفي كُلِّ شأن؛ فإن الاستجابةَ اتباعٌ للحقِّ، ومجانبةٌ للهوى، والذين لم يستجيبوا لله وللرسول قد آثروا الباطلَ، واتَّبعوا أهواءهم.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (١)

فليحذرْ أهلُ الإيمان أن يَقَعُوا فيما وقع فيه أولئك الذين اتَّبعوا أهواءَهم بغير هُدىً من الله، وليترابطوا فيما بينهم لتحقيق أمرِ الله فيهم، ونَصره في أنفسهم؛ حتى ينصُرهم على أعدائهم؛ فإنهم لن يَنصروا الله في معركةٍ حتى يَنصروه في أنفسهم بتغليب أمره على أهوائهم.

وليكونوا عاملين على جَمْعِ كلمتهم على مرضاتِ ربِّهم، وحُسْنِ الاستجابة لله وللرسول في جميع أمورهم، دونَ مخالفةٍ أو إعراض؛ فإنَّ المخالفة تُودي بهم، وتُوقِع الفتنةَ بينهم، وليتمسكوا بما دعاهم الله به وبلَّغه نبيُّهم، حتى لا يَضلوا السبيل، ويَقَعُوا في فتنةٍ وعذابٍ أليم ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (٢)

---

(١) القصص: من الآية ٥٠.

(٢) النور: من الآية ٦٣.